

المصدر: عمان

التاريخ: ١٦ يونيو ٢٠٠٢

الصراع في آسيا الوسطى .. «حرب النفط الثانية»

سبق أن حدد يريجيسكي المستشار السابق للأمن القومي للرئيس الأمريكي كارتير مهمة الولايات المتحدة في المنطقة الأورو آسيوية : «أن تعمل على تهيئة الظروف التي لا تمكن دولة أو مجموعة دول في المنطقة من إزاحة الولايات المتحدة أو الإقلال من دورها الحاسم - بذلك تبقى الولايات المتحدة قادرة على التأثير في أوروبا سياسياً وعسكرياً عبر حلف شمال الأطلسي مع إيجاد وجود أمريكي متاخم أو قريب من الدول الآسيوية الكبرى. فالمنطقة تتميز باحتلالها موقعاً جيواستراتيجياً حيوياً فهي متاخمة لروسيا والصين وإيران وقريبة من الهند والخليج وتركيا هذا إضافة إلى أهميتها الاقتصادية الكبرى بما تحتويه من ثروة طبيعية ضخمة. ومن هنا يعتقد المراقبون أن منطقة بحر قزوين والقوقاز وآسيا الوسطى عامة سوف تشهد صراعاً وتنافساً متزايداً ومحاولات أمريكية لوضع اليد على ثرواتها الطبيعية وأهمها النفط والغاز الطبيعي قد تدفع روسيا نحو المواجهة المباشرة . حيث أن تقاطع المصالح في المنطقة قد تجرّها إلى عاصفة جديدة تتجاوز أبعادها «عاصفة الصحراء».

التدخل في القوقاز وهدف حصار روسيا من الجنوب :

تمكنت الولايات المتحدة من تحقيق درجات متفاوتة من التغلغل السياسي والاقتصادي والعسكري في كل من آسيا الوسطى والقوقاز. وتستثمر شركة «شيفرون» الأمريكية عدة مليارات من الدولارات في حقل «تنجيز» العملاق للنفط. كما توجد استثمارات أمريكية في مجالات أخرى متعددة. كذلك تجري الولايات المتحدة مع كل من كازاخستان وقرقيزستان.. مناورات عسكرية مشتركة في إطار برنامج «الشراكة من أجل السلام». فضلاً عن ذلك فإن اشتراك كل من كازاخستان وقرقيزستان وطاجيكستان في الحدود مع الصين الأمر الذي يمثل ورقة قوية في يد واشنطن تستطيع بواسطتها أن تمارس ضغطاً على بكين. وتقيم الولايات المتحدة علاقات طيبة مع كل

إن مراجعة السياسة الأمريكية تجاه منطقة آسيا الوسطى طوال السنوات والعقود الماضية تشير إلى أنها تحتل مكاناً بارزاً في الاستراتيجية الأمريكية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية رغم أن المنطقة كانت جزءاً من الاتحاد السوفييتي السابق. وكان الخبراء الاستراتيجيون الغربيون والأمريكيون خاصة يعتبرون جمهوريات آسيا الوسطى أثناء وجود الاتحاد السوفييتي هي «البطن الرخو» في الكيان السوفييتي وهي الأكثر قابلية للاختراق من وجهة النظر الاستراتيجية. ولعل هذا الوضع كان أحد الأسباب الجوهرية لاهتمام الولايات المتحدة الكبير بدعم المجاهدين الأفغان في مواجهة الاحتلال السوفييتي لبلادهم. وبعد انتهاء الحرب الباردة وانتهاء الاتحاد السوفييتي أصبحت آسيا الوسطى والقوقاز حلقتين رئيسيتين في الخطط الأمريكية لحصار روسيا من الجنوب وعزلها من الخليج والمحيط الهندي.

لا شك أن تفكك الاتحاد السوفييتي قد أتاح الفرصة لواشنطن لكي تسعى لاختضاع إحتياجات النفط في بحر قزوين وآسيا الوسطى والقوقاز لسيطرتها ومن نفس المنطلق وضعت الولايات المتحدة نصب عينها أولوية بلورة وضع جيوا استراتيجي جديد للمنطقة الأورو آسيوية (الواقعة بين أوروبا وآسيا) مع تكريس التعدد الجيوبوليتيكي في هذه المنطقة ومنع دولها من إنشاء كتل أو ائتلاف يتحدى السيطرة الأمريكية. وقد

بقلم أ. ح لواء : طه المجذوب

علاقاتها بكانخستان نظراً لأن البلدين أقل أهمية من وجهة نظر الأمريكية السياسية والاقتصادية. وتطل على بحر قزوين خمس دول هي: تركمانستان من الشرق وكانخستان من الشمال والشمال الشرقي ثم روسيا من الشمال والشمال الغربي منطقة شمال القوقاز الروسية ثم أذربيجان من الغرب جنوب القوقاز وإيران من الجنوب.

في إطار هذه الأوضاع يبدو واضحاً أن الحرب التي تشنها الولايات المتحدة ضد الإرهاب لها أبعاد واسعة وأهداف مختلفة تعتبر استكمالاً لرسم ملامح «النظام العالمي الجديد» وفقاً للرؤية الأمريكية وكذا تنفيذ ما بقي من مهام ما بعد الحرب الباردة بتكريس السيطرة الأمريكية على العالم من خلال إحكام الحصار على روسيا وتفكيك «رابطة الكومنولث المستقلة» وتهديد الجناح الغربي للعلاقات الصيني الصاعد وكسر طوق مشروع التحالف الاستراتيجي بين بكين وموسكو فضلاً عن إحكام الحصار على إيران.

في ضوء هذه الأهداف نجد تفسيراً واضحاً لاهتمام الأمريكي الكبير تجاه منطقة القوقاز وخاصة ثروات شمال القوقاز التابع لروسيا الاتحادية لذلك تركز واشنطن حرصها على تلك المنطقة من أجل تحقيق أحد أهم الأهداف الاستراتيجية وهو محاصرة روسيا التي لا تزال - رغم أوضاعها الداخلية الصعبة - هي الوريثة للامبراطورية السوفييتية وما تتمتع به من أسباب القوة والقدرة على أن تكون نداً حقيقياً للعسكرية الأمريكية خاصة ترسانتها النووية. أما الهدف الثاني فهو السيطرة على ثروات وموارد القوقاز النفطية واحتكارها لصالح الاستثمارات الأمريكية.. الأمر الذي سيؤدي إلى إضعاف الاقتصاد الروسي وبالتالي إضعاف دوره في الحفاظ على المستوى العسكري العالي والقدرة العسكرية التي تسعى روسيا للحفاظ عليها بحيث تتمتع بقوة تقليدية واستراتيجية ادعة تكفل تحقيق التوازن الذي من شأنه المحافظة على الأمن والاستقرار في العالم.

ومن أجل تحقيق هذين الهدفين المتداخلين والمتشابكين شرعت الدوائر الأمريكية في البحث عن مدخل لقلب المعادلة القائمة في منطقة القوقاز بما يتفق مع مصالحها من جهة وبما يحقق هدف محاصرة روسيا وعزلها ثم تفكيكها على غرار ما حدث بالنسبة للاتحاد السوفييتي وذلك من خلال إشعال النزعة الانفصالية لدى جمهوريات روسيا خاصة في منطقة القوقاز يدفعها نحو المطالبة بالاستقلال والانفصال عنها كما حدث بالنسبة للشيشان الواقعة شمال القوقاز وكما يحدث بالنسبة أغانستان إحدى جمهوريات روسيا الاتحادية وتقف الولايات تحدة وراء هذه الأحداث كما تقول بعض المصادر.

إسلامية في إخراج روسيا من شمال القوقاز واتخاذ تركيا مقراً وممرراً للانتقال إلى شمال القوقاز. ويلاحظ أن معارك داغستان قد بدأت عندما اقترحت روسيا على أذربيجان مد خط جديد للنفط يمر في داغستان بدلاً من الشيشان وكان هدفها إلقاء الظلال على حالة الاستقرار والأمن الداغستاني وبالتالي تصفية حق الاستغلال الروسي لمنطقة القوقاز وآسيا الوسطى. من أجل ذلك تسعى الولايات المتحدة بكل السبل والوسائل نحو إقامة قوس يحيط بروسيا الاتحادية من الجنوب والجنوب الغربي قوامه حلف تسعى واشنطن إلى إقامة بين جورجيا وأذربيجان وتركيا بعد إدخال جورجيا وأذربيجان في حلف شمال الأطلسي وجعلهما نقطتي ارتكاز استراتيجي للولايات المتحدة يخدمان الجانب الأكثر أهمية في الاستراتيجية الأمريكية تجاه روسيا الاتحادية.

إستراتيجية أمريكية جديدة من أفغانستان إلى فلسطين :

لقد انطلقت هذه الاستراتيجية من تحت أنقاض مانهاتن في نيويورك والبنتاجون في واشنطن حين برزت معالم استراتيجية أمريكية تهدف إلى وضع صياغة جديدة للتوازنات العالمية وخاصة في مناطق آسيا الوسطى التي تفصل بين الصين شرقاً وأوروبا غرباً وتمثل جزءاً حيويًا من المنطقة

الأوروآسيوية. وقد أطلقت واشنطن شعار «أفغانستان أولاً» من بداية حربها ضد الإرهاب إشارة إلى أن استراتيجية الجديدة سوف تضم عشرات الدول. ولذلك يطلق بعض الخبراء على هذه الاستراتيجية «نظرية الاكورديون» إيماء إلى قدرتها على الامتداد عبر مسافات كبيرة يراها البعض تنطلق من أفغانستان لتصل إلى فلسطين مروراً بدول آسيا الوسطى وخاصة حوض بحر قزوين ثم العراق وفلسطين. وتقوم النظرية على مبدأ التهريب والترغيب في صفقة ممتدة تشمل حلولاً مشتركة لكل الدول الواقعة في القوس الكبير بين أفغانستان وفلسطين.

والجدير بالذكر هناك خلاف يبلغ حد التناقض بين استراتيجية الرئيس كلينتون والرئيس الحالي بوش فقد اعتمدت استراتيجية كلينتون على تفكيك القضايا الساخنة وعزلها عن بعضها البعض والتركيز على قضية واحدة في وقت واحد ثم الانتقال بعدها إلى قضية أخرى. أما استراتيجية بوش فهي تتجه إلى ربط ومعالجة القضايا الساخنة وحلها ضمن حزمة واحدة من التوجهات التي يضمنها تصور عالمي للتوازنات الدولية وحين أعلن بوش هذه الاستراتيجية الجديدة لقيت معارضة دولية بل وداخلية خاصة من الحزب الديمقراطي المعارض وبعض المؤسسات الأمريكية التي ترى أن هذه الاستراتيجية تمثل «مغامرة كبرى» قد تدفع واشنطن إلى

الانزلاق نحو عالم مجهول محفوف بالمخاطر والعقبات. وقد اشتملت الاعتراضات العالمية عدة ملفات دولية وإقليمية من أبرزها مشروع الدرع الصاروخي للدفاع عن الأراضي الأمريكية ثم إلغاء المعاهدات القديمة مع الاتحاد السوفيتي ومن أبرزها معاهدة ١٩٧٢ بشأن الحد من انتشار الصواريخ ثم ملف الدور الأمريكي التي تمهد له الولايات المتحدة في بعض المناطق الحيوية من العالم خاصة منطقة آسيا الوسطى ومنطقة الشرق الأوسط. ومن تلك الملفات ملف سباق التسلح النووي في جنوب آسيا بين الهند وباكستان ومحاولة إيران اللحاق بهما وقيام الدول الثلاث بتطوير نظام للصواريخ بعيدة المدى وخشية استخدام هذه الترسانات في حروب إقليمية الأمر الذي إذا حدث سيؤثر في موازين القوى في آسيا وخاصة منطقة آسيا الوسطى والمناطق المجاورة لها. يضاف الى ذلك ملف التعاون العسكري الروسي الإيراني ومد إيران بالتكنولوجيا الروسية النووية والصاروخية.. وإحتمال أن يؤثر هذا التطوير على برنامج الدرع الصاروخي الذي توليه الولايات المتحدة اهتماما أساسيا. من ناحية أخرى فسوف يؤدي ظهور الثروة النفطية في منطقة آسيا الوسطى خاصة في حوض بحر قزوين وما حوله إلى حدوث تغيير في معالم المنطقة مع توفر ثروات ضخمة للدول الخمس المطلة على بحر قزوين التي اندفعت للتنافس على فرض نفوذها على أكبر مساحة من مياه البحر فضلا عن دخول شركات النفط الكبرى في المنافسة على مصادر الطاقة وتنفيذ مشروعاتها واستثماراتها لإنتاج النفط والغاز والمنتظر أن يبدأ في عام ٢٠٠٤. وتعتبر الولايات المتحدة القوة الخارجية الأكبر مشاركة في الصراع الدائر في آسيا الوسطى وحوض بحر قزوين فهي تراقب تطور الأوضاع إنتظارا للفرص المناسبة منذ عهد كلينتون للدخول على خط الصراع ليس فقط من أجل النفط بل من أجل أهداف استراتيجية كبرى تسعى الى عزل الصين وحصار روسيا وحرمانها من الاستفادة من ثروات آسيا الوسطى.. وإثارة الخلافات بين الدول الخمس المطلة على بحر قزوين بغية إيجاد مبرر لوجودها العسكري في المنطقة سواء بشكل مباشر أو من خلال صلتها بتركيا.

ويطلق بعض المحللين على محاولات الولايات المتحدة للسيطرة على نفط آسيا الوسطى «حرب النفط الثانية». فعندما قام العراق بغزو الكويت في عام ١٩٩٠ حازت الولايات المتحدة ليس فقط من أجل اخضاع العراق للسياسة الأمريكية في المنطقة من خلال «عاصفة الصحراء» ولكن من أجل مصالحها لذلك اطلق البعض على هذه الحرب «حرب النفط». واليوم وبعد الهجمات الانتحارية على نيويورك وواشنطن بدأت الولايات المتحدة حملتها العالمية من أجل القضاء على الارهاب ومرة أخرى يعتقد بعض المحللين أن الهدف الحقيقي من وراء هذه الحملة الأمريكية الجديدة تحت ستار محاربة الارهاب تحقيق أهداف أوسع نطاقا هو السيطرة على منابع النفط والغاز الطبيعي في آسيا الوسطى والقوقاز ورغم ان عنوان هذه الحرب هو «الحرب ضد الارهاب» إلا أن هؤلاء المحللين يحرصون على إطلاق اسم «حرب النفط الثانية» على الحرب التي تقودها الولايات المتحدة في إطار تحالف دولي يشبه